ISSN: 1112- 7872 مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: الطقوس الجنائزية خلال الفترة الرومانية... ص.ص 606- 625.

الطقوس الجنائزية خلال الفترة الرومانية بمدينة كويكول (جميلة حاليا)

السعيد خاشة
1- جامعة محمد لمين دباغين –سطيف2-
Saidkhacha19@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/07/05؛ تاريخ القبول: 202/07/18

The funeral rites rom the ancients is roman. In the city of Cuicul

Abstract:

Death has always been fascinating for both the modern and ancient peoples, so they tried to explain what death is, what accompanied it and what happen after it.

In the ancient time, a consensus about the death emerged: death is a process making a parson moving from a stage of movement and existence to a state of stillness. That stage is followed by resurrection, judgment and reward or punishment.

The almost complete perception of death and the accompanying funeral rituals, we got from the ancients is roman.

So, how did the romans view the death?

What are the rituals accompanying this phenomenon?

What is the most important knowledge delivered by the funerary inscriptions?

It is known that once a roman person dies, it is announced by the ritual of placing a cypress trunk and the crying and wailings of the relative women.

After that, the corps is washed, scented and shrouded according to the social and economic position of the dead person.

If the dead is a noble, a procession take him to the public square (forum) for a memorial and from there he is buried or burned and his memory is commemorated through feasts or

funerary texts which usually included the name of the deceased, how many he lived, perhaps his administrative functions and the name of the person who provided the text and prays.

These rituals where not meaningless acts but rather an expression of strong social and family ties. This is the filling we had by writing this theoretical article which studies the ritual through the inscriptions and funerary texts from the city of Cuicul.

Key words: Romans, funeral rites, Cuicul, Archaeology, funeral inscriptions

الملخص:

شكل الموت ظاهرة أبهرت الأقدمين والمحدثين على حد سواء، فحاولوا تفسيرها وتفسير ما يكون مصاحبا لها وما يكون بعدها، وبصفة عامة ظهر إجماع في العالم القديم أن الموت هو عملية انتقال الإنسان من طور الحركة والوجود إلى حالة من السكون، الذي يعقبه بعث وحساب وثواب أو عقاب، وممن وصلنا تصورهم شبه الكامل للموت وما يصاحبه من طقوس جنائزية هم الرومان، فكيف كانت نظرة الرومان للموت؟ وما هي الطقوس المصاحبة لهذه الظاهرة؟ وما أهم ما تحمله النقيشات الجنائزية؟، من المعروف أنه بمجرد موت أحد الأفراد عند الرومان يعلن على ذلك من خلال وضع جذع من شجرة السرو ويبدأ البكاء والنحيب من قبل النساء الأقارب، ليغسل ويطيب ويكفن الميت تبعا لوضعيته الاجتماعية والاقتصادية، فإن كان من النبلاء يقام له موكب يسار به للساحة العامة من أجل التأبين ومن ثمة يدفن أو يحرق وتخلد ذكراه من خلال أعياد خاصة أو من خلال نصوص جنائزية تتضمن عادة اسم الميت وكم عاش وربما المناصب التي شغلها ومن قدم له النص والدعاء له. وهذه الطقوس لم تكن مجرد فعل جاف وإنما هي تعبير عن روابط اجتماعية وأسرية قوية وهذا ما لمسناه من خلال هذا المقال النظري تاريخي من جهة دراسة الطقوس والتطبيقي أثري من خلال دراسة النقوش والنصوص الجنائزية بمدينة كويكول.

الكلمات المفتاحية: الرومان، الطقوس الجنائزية، كويكول، الآثار القديمة، النقيشات الجنائزية.

أولا. مقدمة:

شكل الموت ظاهرة خارقة للعادة منذ أن عرفه الإنسان أول مرة، ففي القرآن الكريم يحكي لنا الله عز و جل قصة أول موت -قتل- عرفتها البشرية، وقصة أول دفن، ومن علم الإنسان الدفن، إذ يقول عز و جل (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)28 (إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)29 (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)30 (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)31) سورة المائدة الآية 27-31 .

ولأن الموت ظاهرة نقلت الإنسان من حالة الحركة والكلام والتفكير إلى حالة من الجمود، حاول الأقدمون تفسيرها وتفسير ما يكون مصاحبا لها وما بعدها، فرآها الرافديون بأنها انتقال الروح إلى طور جديد من الوجود، في حين اعتبرها المصريون حالة من انفصال العنصر الجسماني عن العنصر الروحي، وكما عودنا الإغريق بقوة خيالهم وإبداعهم فقد اعتبروها اختطافا من قبل قوى إلهية، في حين لم يحد الرومان كثيرا عما رآه الإغريق وعن تصوراتهم للموت، فقد اعتبروا هذا الأخير انتقالا لعالم سيجدون فيه أسلافهم، و قد تخلد أرواحهم مع أرواح الطاهرين، ولضمان هذا الانتقال و ما بعده قاموا بإيجاد و تطوير ممارسات طقوسية، عُدَة لُب عقيدة ما بعد الموت في الحضارة الرومانية، فيا ترى ما حقيقة الموت؟ وما نظرة الأقدمين له؟ وما هي الطقوس المرتبطة به خلال الفترة الرومانية؟ وكيف خلد الرومان ذكرى موتاهم؟ وما مدى ما تمنحه لنا الكتابات الأثرية من حقائق تاريخية عن فكرة الموت عند الرومان؟ للإجابة عن كل هذه

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: الطقوس الجنائزية خلال الفترة الرومانية... ص.ص 606- 625.

التساؤلات ارتأيت أن أقسم مقالي هذا إلى جانبين نظري وآخر تطبيقي تحليلي، أما الأول فسأتطرق فيه لتعريف الموت ونظرة القدماء إليه، وكذا الطقوس المصاحبة له. أما الجانب الثاني فهو نظري من حيث المبتدأ حيث سأتطرق إلى الكتابات الجنائزية وأهم ما يرد فيها. وجانب تطبيقي حيث سأحاول أن أطبق هذه الدراسة على مجتمع كويكول القديمة وتحليل المعطيات المتوصل إليها لأختم هذا المقال بخاتمة أضمنها حوصلة عامة لما سبق.

ثانيا- الموت في الحضارات القديمة:

1. عند الرافدين:

الموت عندهم أمر حتمي، لا بد لكل كائن من أن يذوقه، غير أنه لا يعنى النهاية الأبدية إنما هو انفصال الروح عن الجسد، إذ يتوقف القلب عن النبض وتتعطل كامل وظائفه (بن عبد المؤمن محمد ،2011-2012: 16)، وتنتقل الروح إلى طور جديد من الوجود، بعد أن يتم دفن الجسد، وعليه فما الموت إلا انقطاع مؤقت عن الحياة ليعاود الميت الرجوع في شكل آخر (إيمان لفتة حسين،2009: 216). ورد في ملحمة جلجامش في اللوح الثامن، ما يلي:

والآن أية نومة تلك التي قبضت عليك

أنت أصبحت فاقد الإحساس، أنت لا تسمعني

رفعه لكنه لم يرفع رأسه

تحّسس قلبه، لكنه لا ينبض (أنور غني الموسوي،2015 :118)

كما اعتقد الرافديون بفكرة خلود الروح في عالم الأموات، وعليه فما اعتبر الدفن إلا وسيلة لضمان نزول الروح إلى العالم السفلي، وعدم بقائها تائهة غاضبة في عالم الأحياء. (بن عبد المؤمن محمد،2011-2012 :61)

2. عند المصريين:

اعتقد المصريون القدماء بالحياة الأبدية بعد الموت، ولأجل ذلك قاموا بطقوس دينية وسحرية أثناء عملية التحنيط والجنازة، واعتقدوا أنه من خلال السير الحسن لهذه الطقوس التي تراقب من قبل العديد من الآلهة يمكنهم العيش و العودة للحياة في عالم الأموات و لأجل ذلك كان لا بد من حفظ الجسد جيد (شباحي مسعود، 2015: 153)، رأى

المصريون القدماء أن الإنسان مؤلف من مجموعة عناصر ،منها ثلاثة غير جسمانية تلعب دورا محوريا في عقائد ما بعد الموت ،وهي BA و KA (قوة الحياة)و AKH (أرواح نورانية)، وهذه العناصر الغير جسمانية بعد الوفاة لا بد لها من جسد يضمها، وهذا ما دفعهم للقيام بعملية التحنيط.

كانت توضع تمائم بين أشرطة التحنيط، من أجل ان تساعد الميت على العودة للحياة مرة أخرى، أثناء التحنيط تستخرج الأعضاء الحيوية للميت وتوضع في أربعة أواني vases canopes،والتي بدورها تحفظ قرب التابوت. بعد استيقاظ الميت يجد كل عناصره الجسمانية والتي تؤهله لأن يكتمل تكوينه في العالم الآخر.

أما الجنازة فإنها تتم وفق ما صوره لنا كتاب الموتى الفرعوني، وملخصه أن هناك كاهن يؤدي طقوس وضع المومياء في القبر، ويترك الفم مفتوحا حتى تتمكن الجثة من التنفس وإعادة الحياة للأعضاء الحيوية في العالم الآخر، ثم يخضع المتوفى لمحاسبة في محكمة OSIRIS، وباختصار هي وزن القلب مع أعمال الميت، وفي حال تمكنه من تخطي هذه المحاكمة بنجاح، ينتقل للحياة الأبدية. (- (Florence Maruejol, SD: P1

فالموت إذن برأيهم ما هو إلا انفصال للعنصر الجسماني عن العناصر الروحية، كما اعتقدوا بأن الحياة الآخرة ما هي إلا استمرارية للحياة الدنيا، وأن الميت يبقى حيا في القبر الذي عد مسكنه الجديد، كما آمنوا بفكرة الحساب بعد الموت (محمد بن عبد المؤمن،2011-2012: 42)، وهذا ما نستشفه من كتاب الموتى الفرعوني.

3. عند الإغريق:

يرى سقراط بأن الموت هو نوم بلا أحلام، أو أنه هجرة الروح للعالم الآخر، بينما رأى أفلاطون أن روح الإنسان تقع في رتبة بين نفوس الكواكب الخالدة، ويؤكد على خلود النفس البشرية وعلى مسألة الثواب والعقاب (محمد بن عبد المؤمن،2011-2012: 61)، كما اعتقدوا بأن الميت يفقد نشاطه وروحه الحيوية. وأن روحه psyche تتحول إلى طيف ينزل إلى العالم السفلي، واعتبر الموت اختطافا من

قبل قوى إلهية، تمثل الرحلة إلى العالم الآخر، وأسندت مهمة نقل الروح للإله هرمس Hermès إلى حدود العالم الآخر. (محمد بن عبد المؤمن،2011-2012: 66)

كما جسد الإغريق الموت بصورة Thanatos (Howtson , 980: 1993)، حيث اعتبر هاديس هو زوس العالم السفلي، الذي يحكم الجحيم، كما عد Thanatos هو ساكن الجحيم.

أما عن الطقوس الجنائزية عند الإغريق فقد كانت تمر بمراحل ثلاث: العرض- Exposition- (prothesis)، الموكب (ekphora)، الدفن او الحرق، وكانت العائلة تشارك في العمل الجنائزي وتشييع الميت، كما كانت نساء المنزل هن من يقمن بتطهير البيت وتحضير الميت للسفر للعالم الآخر (Aurelie Damet:2007:94)، ونموذج ذلك ما قام به Oedipus لحظة دنو أجله، حيث قام رفقة بناته بطقوس تطهيره.

- بمجيئ هوميروسHomeros أصبح تصورنا للطقوس الجنائزية عند الإغريق جد واضحا، وأن عرض الجسد يخضع لقانون صولون، Solonienne الذي يحدد المدة القصوى بين العرض (prothesis) والموكب الجنائزي بيوم واحد فقط. (Aurelie Damet ,2007:94)

- أما الجثة فيعتنى بها وتحضر وفقا للتقاليد من أجل ان تقوم برحلتها الأخيرة من عالم الأحياء لعالم الأموات، وتكون مصحوبة بجواهر وآنية ومرآة وأسلحة وغيرها من حاجيات الميت، غير أن الإسبرطيين شذوا عن هذا ودفنوا موتاهم بطريقة تعكس فقرهم. (Aurelie Damet, 2007:95)، كان الهدف من الطقوس الجنائزية تهدئة الروح وتجنيب الأحياء الانتقام والمتاعب التي قد تلحق بهم من جراء عدم إتمام الطقوس بشكل جيد (عميري إبراهيم، روبة سوزان،2012: 29)

- كان الدفن والحرق كلاهما ممارسان عند الإغريق في الفترة ما بين القرن الثامن إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد كانت عملية الدفن تتم خارج أسوار المدن(Polis) هذا بالنسبة للبالغين، أما بالنسبة للأطفال والجرار الجنائزية فهناك استثناء. (Aurelie Damet,2007:95)

- بالنسبة لقبور المنتحرين فإنها تكون معزولة ومجهولة، إذا قتل مواطن على يد عبد فإن هذا الأخير يجلد بلا رحمة حتى الموت عند قبر من قتله. (Aurelie Damet ,2007:97)

4. عند الرومان:

تأثر الرومان بالإغريق وكذا بالأتروسكيين وطوروا مفاهيم مختلفة عن الحياة الآخرة. (William E Dunstan, 2011:111)، في البدا اعتقد الإترسكيون بالحياة بعد الموت لذا بنوا لموتاهم قبورا على شاكلة منازل الأحياء، وهذا ما تظهره الدلائل الأثرية من خلال مقابر تعود لفترة القرن الخامس ق.م في Tarquiniens أو في Cerveteri، أو في قبور القرن الثاني ق.م في Pérouse. وقد حذا الرومان حذوهم، كما اعتقد الرومان كذلك في عالم سماوي ترحل إليه الأرواح الطاهرة. (Prieur Jean, 1986: 7)، وعرف الموت عندهم تحت مسمى Orcus, Tatum،Mors . كل هذه المسميات تعطينا معنى الموت ولكن ليس الموت ذاته. (Prieur Jean, 1986:11).

كما اعتقد الرومان بأن الميت خلال رحلته في العالم الآخر، يقابل الكائن الأسطوري شارون Charon، والذي بعد أن يأخذ أجرته يساعده عن طريق مركبه في عبور نهر الستايكس Styx، ثم يقابل سيروبيروس Cerberus وهو كلب ذو ثلاث رؤوس، مهمته أن يتأكد من أن من يقابله شخص ميت وليس حيا، ليصل أخيرا إلى بلوتو Pluto ليقاضيه على مجموع أعماله التي كان عملها حال حياته (عميري إبراهيم، روبة سوزان:2012: 30)

ثالثا. الطقوس المصاحبة لظاهرة الموت خلال الفترة الرومانية:

كان الرومان يقدسون أسلافهم بشكل كبير، واعتبروهم النقطة المحورية لطقوس العائلة، فقد عد الشخص بمجرد موته من الأسلاف، لذا فليس من الغريب أن يكون الموت والدفن من الموضوعات الكبيرة التي اشتغلوا بها، وبالرغم من ذلك فإن مصير الجسد الروماني كان مرتبطا بحالته الاقتصادية والمالية. (Aldrete. Gregory S, 2004:83).

جرت العادة أن أفراد العائلة هم من يتكفلون بطقوس وتكاليف الدفن، أما الأشخاص الذين قدموا خدمات جليلة للعامة فيمكن أن يدفنوا

على نفقة الدولة أو المدينة، وكانت هناك حالة أخرى تقوم فيها جمعيات متخصصة بالدفن، كما كانوا يرجعون للنذير Héraut في تحديد يوم وساعة الدفن. (Prieur Jean, 1986: 21)

1.طقوس الدفن:

اعتبرت الطقوس المصاحبة للوفاة وسيلة لإظهار العائلة الاحترام للمتوفي، وكما يحدث عندنا اليوم يضع أهل الميت علامة للدلالة على وجود جنازة، فالرومان أيضا كانوا يضعون قطعا من خشب السرو– الصنوبر الجبلي- picea montis عند مدخل البيت كتنبيه على وجود جثة داخله. (françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :138)

كان الأمر الأول الذي يجب القيام به لمرحلة funus translaticinia هي أن يتم تقبيل الميت من طرف قريب، لأجل القبض على روحه الهاربة، وفي هذا الصدد يخبرنا سويتونيوس suetonius أبه بعد وفاة أغسطس قبلته زوجته livia القبلة الأخيرة، ثم تُغلق عيني المتوفي، ويبدأ ما يعرف بـــــ conclamatio -التي تتضمن مناداة الميت باسمه إلى أن يتم دفنه أو حرق جثته، وذلك حتى يتأكد من أنه قد مات بالفعلiusta sepultura - (françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :138) ، ثم توضع الجثة على ركبتها برهة من الزمن ثم تمدد على الأرض للغسل و التعطير من قبل نساء أقارب أو من قبل pollinctores (françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :138) بعدها تلف برداء أسود إن كان فقيرا أو برداء أبيض إن كان من ميسوري الحال هذا الغسل و التكفين كان يتم من قبل أفراد العائلة أو من طرف شخص يطلق عليه pollinctor (Ursula Gärtner , 2015 :58) ومن أجل التباهي يزين الميت أحيانا بأوسمة كان قد حازها في حياته. (françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :138)، ثم توضع على سرير خاص بالجنازة يدعى Expositio داخل فناء منزله مقابل المدخل الرئيسي ورجلا الميت متجهتان إلى الباب كرمزية للخروج من قيد الحياة الدنيا والتوجه للحياة السرمدية(françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :138)،

وكان جسد الميت يحاط بشموع مضاءة وورود، (Graham. Emma-Jayne, 2004 :53) ليتشكل بعد ذلك الموكب الجنائزي أمام المنزل في وضح النهار، هذا الموكب يضم حاملي الشعلات، وذلك

تبعا لتقليد قديم دفع الرومان للاعتقاد أن النار والضوء يمنحان الحماية ضد التأثيرات السيئة. غير أنه في الفترات الأكثر قدما كان المكلف بنقل الجثة إلى القبر أو المحرقة يسير بالجثة ليلا تحت ضوء المشاعل، وذلك لمنع الكهنة والقضاة من رؤية الجثة، وقد حوفظ على هذا التقليد بالنسبة للأطفال في الفترة الجمهورية، أما بالنسبة للبالغين فكان يتم ذلك في وضح النهار. (Prieur Jean, 1986: 21)

2. الموكب الجنائزي:

تتطلب جنازة شخص ثري موكبا كبيرا، حيث توضع الجثة على حامل مستلقية وتحمل من قبل مجموعة، ويسبق النعش بفرقة من الموسيقيين يحملون أبواقا، كما يصحبهم نائحات محترفات يغنين ترانيم خاصة بالمناسبة، وراقصات توكل لإحداهن تمثيل دور الميت، كما يرتدي أصدقاء الميت وعائلته ملابس داكنة أو سوداء ويمشون بجانب الجثة (William E Dunstan , 2011:110)، وكان من الطقوس أن يغطي الرجال رؤوسهم، أما النساء كن يتركن شعورهن منسدلة، ويظهرن حزنهن بالبكاء ولطم الخدود وضرب صدورهن والهتاف بصوت عال باسم الميت.

أثناء الجنازة تقوم فرقة بارتداء ملابس طقوسية ووضع أقنعة جنائزية تدعى Imagines (William E Dunstan, 2011;111)، كما يمثل الميت بقناع شرط أن يكون ممن شغلوا مناصب مرموقة أو قاموا بأعمال جليلة، هذا القناع يصنع من مادة الشمع، كما تشمل الجنازة موكبا للأسلاف، حيث يقوم بدورهم ممثلون يضعون أقنعة ويمتطون عربات رائعة، وهذا كان يعني عودة الأجداد المرموقين وفيه إشارة إلى الأصالة والنبل في العائلة، كما تعنى كذلك رمزية عودة الأجداد للمشاركة في الجنازة. (William E Dunstan, 2011:111)

وصف المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybius المسيرة المثيرة للأجداد بأنها مصدر إلهام لعدد لا يحصى من الشباب لكسب المجد من خلال أداء الأعمال النبيلة. (William E Dunstan , 2011:111)، بعدها يتوقف الموكب الجنائزي مؤقتا في الساحة العامة Forum، حيث يتلو ابنه البالغ أو أحد أفراد العائلة كلمة يمتدح فيها المتوفي -كلمة تأبينيه- Laudatio Funebris يحي من خلالها مجد كل سلف حاضر،

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: الطقوس الجنائزية خلال الفترة الرومانية... ص.ص 606- 625.

ومن أمثلتها ما قدمه القنصل Marcus Fabius Vibullinus لأخيه Quintus وكان ذلك أمام العامة. (Prieur Jean, 1986: 21) ، كذلك ما قدمه القنصل Quintus Tutatius Catullus لأمه Popilia. (Prieur Jean: 1986: 21) ، في سنة 102 ق.م ، و كان هذا أول تأبين لامرأة في تاريخ روما. (Prieur Jean: 1986: 21)، بعد ذلك يتوجهون بالجنازة خارج المدينة؛ لأن المحرمات الدينية تحظر -تمنع- دفن الموتى داخل المدن.

3.الدفن أو الحرق

يخبرنا كل من شيشرون Cicéron وبلين Pline أن الرومان في البداية كانوا يمارسون الدفن ثم تحولوا للحرق (Graham. Emma-Jayne, 2004 :53) ،فابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد عرف الرومان حرق الجثث إلى جانب الدفن وكان -الحرق-هو الطريقة المفضلة لدى الكثيرين منهم، بيد أنه بحلول القرن الأول قبل الميلاد عاود الرومان الرجوع للدفن مرة أخرى. ولأجل منع الأضرار الناجمة عن الحرق، أنشأ الرومان محارق USTRINAE خارج أسوار المدن كانت قادرة على حرق الجثة في سبع أو ثمان ساعات.

تحرق مع الجثة أحيانا أشياء شخصية تتعلق بالميت، وقبل عملية الحرق ينزع جزء من الجسم كالأصبع مثلا ليدفن لاحقا وتدعى هذه العملية بـ OS RESECTUM. (françoisP.Retief , Louise Cilliers ,2006 :135)

يتم سكب الخمر، ثم يوضع هذا الرماد في جرة جنائزية لتحفظ في القبر أو المنزل، أما فيما يتعلق بالجنود الذين لقوا حتفهم بشرف في ساحة القتال فإنهم يدفنون في مقابر جماعية وتقام لهم جنائز تدعى FUNUS MILITARE. (françois P.Retief , Louise Cilliers ,2006 :136)

بعد عملية الحرق يبرد رماد الميت بسكب الخمر والتربة الخفيفة أو الماء على الرماد المتبقي ثم توضع البقايا في جرار جنائزية، كانت بعض الأسر الثرية تتباهى بدفن رماد موتاها في مقابر أو أضرحة باهظة الثمن على طول الطرق المؤدية لبوابات المدينة. (William E Dunstan, 2011 :111)

الحرق:

حين الوصول للقبر يبدأ طقس حرق الجثة، حيث توضع هذه الأخيرة على مصطبة مع قرابين مختلفة إضافة إلى أغراض شخصية كالعطور والزهور، يخبرنا شيشرون بأنه تقدم زروع كأولى القرابين، كما يخبرنا Fastus في قاموسه بأن هذه الزروع تهدى للإلهة كيراس Cérès، وهذا القربان له هدفان الأول بأن يأخذ القبر حق وجوده الشرعي، وثانيهما أن هذا القربان يدخل في مجموعة طقوس لتخليص الأحياء مما قد يلحق بهم من الميت، للعلم كذلك في كل مراحل الحداد الأحياء ينفصلون عن الميت، كما تتم وضع حماية لهم حتى يضمنوا ألا ينقلهم الأموات معهم لعالمهم الجديد .(Scheid John ,SD :P452)

كما كانت هناك عادة قديمة تقضي بقطع أصبع أو طرف من الميت قبل حرق جثته، ثم يدفن الطرف المقطوع تحت تربة وسخة كعملية تطهير، والوحيد الذي حدثنا عن هذا هو من المتأخرين يدعى Paul Diacre يقول إنه لا بد من دفن ولو أصبع من المتوفى، لأنه في حالة ما انكشف هذا العظم وضاع فإن روح الميت تبقى هائمة ترعب الناس لكن شيشرونCicéron وفارونvarron المعاصرين للفترة الرومانية لم يذكروا شيئا عن ذلك .(Scheid John, SD: P452)

الدفن:

العائلات القليلة التي لا تمارس الحرق تحمل جثث موتاها في حلة كاملة، وتضعها في تابوت حجري أو رخامي أو غيره، منحوت بشكل متقن، وهي عادة أصبحت منتشرة في الفترة الإمبراطورية، من بين الطقوس المصاحبة للدفن كذلك إهداء طعام وشراب للمشيعين. (William E Dunstan, 2011:111)

4.طقوس التطهير:

بعد لفظ النفس الأخير، يحيط أفراد الأسرة بفقيدهم، فيبكونه وينادون باسمه كما يقبلونه القبلة الأخيرة، وتدخل على إثرها الأسرة الرومانية حالة من الجزع الشديد والانهيار المؤقت، أطلق عليها Funesta -عُدَةَ هذه حالة من اللعنة التي وجب التخلص منها-، على إثرها وجب الإتيان ببعض الطقوس الموجهة للتطهير لتمكين الأحياء من الهروب من الشر والأذى الذي قد يلحق بهم من طرف الأموات كما يبدو. (William E Dunstan, 2011:110)، كما و من أجل

التطهير استعملت مكنسة خاصة لذلك. ، (William E Dunstan: 2011:111)، كانت طقوس التطهير تبدأ في اليوم التاسع Novendiale sacrum (Ursula Gärtner , 2015 :58)، وكان يرى بأن هذه الطقوس من شأنها أن تقلل من خطر و تأثير الميت على الأحياء (Ursula Gärtner , 2015 :58)، من بين الطقوس التي تقام في اليوم التاسع ما يعرف بالوجبة الجنائزية و هي أن يقدم طعام للأحياء من العائلة، و كذا الأموات على حد سواء غير أنه بالنسبة للأموات لا يقصد بها الأكل و إنما هي شكل من الهدايا لاسترضاء الأرواح، كما عد هذا الطقس شكلا من أشكال التطهير
(Van Andringa W. et Lepetz S, 2008 :1132)

رابعا .تخليد ذكرى الميت:

خلد الرومان ذكرى موتاهم من خلال أمرين أحدهما عبارة عن أعياد خاصة تقام كل سنة، إما لمجرد ذكرى موتاهم أو لاستعطاف الأرواح الهائمة، وثانيهما كتابة نقيشات جنائزية في أغلب الأحيان لا سيما في الفترة لإمبراطورية على الحجارة حوت هذه النقيشات معلومات عن الميت من اسمه ولقبه وعمره وغيرها.

1-أعياد الأموات عند الرومان:

احتفل رسميا في التقويم الروماني بأعياد كانت مرتبطة بالموت و الموتى من أجل تبجيلهم وقد تحدث عن هذه الأعياد كل من أوفيد Ovide وفرجيل Virgile ، منها عيد Parentalia بين 13 و 21 فيفري، حيث كان يحتفل أفراد العائلة أمام قبور موتاهم في الأيام الأولى ، أما في الأيام الأخيرة فكانت تقام احتفالات عامة تدعى Feralia، خلال هذه الفترة القضاة و الأعيان لا يرتدون ما يدل على رتبتهم الاجتماعية، المعابد تغلق، الزواج يمنع، كان على كل فرد أن يقدم عطية من الأكل والشراب، توضع عند قبور الأموات لاسترضاء الأرواح المضطربة. (Prieur Jean, 1986:11). خلال آيدس شهر ماي في 15 منه يتم الاحتفال بعيد Lemuria وذلك حتى يتم طرد الأرواح الهائمة والشريرة التي تأتي من أجل أن تنغص حياة الناس في منازلهم، ويتم طرد هذه الأرواح بطقوس محددة Scheid John, (SD: P453).

2.النقيشات الجنائزية:

- تركيبة النص الجنائزي

خلال الفترة الجمهورية كان النص الجنائزي مختصرا جدا، لأنه لم يتألف إلا من اسم المتوفي، في حالة الفاعل أو نائب الفاعل Nominatif، وفي فترة لاحقة في حالة المضاف إليه Génitif أو المفعول لأجله Datif، مع مرور الوقت بدأت تظهر إشارات أخرى كالمهنة، وعمر المتوفى، وفي القرن الثالث قبل الميلاد عند العائلات النبيلة ظهرت عبارات المدح لتخليد ذكرى أمواتهم (Corbier Paul, 2006:02)

خلال القرنين الأولين من الفترة الإمبراطورية تطور النص الجنائزي وظهرت العبارات الافتتاحية ممثلة في الإهداء للآلهة وقد تطور وفق ما يلي:

- الإهداء لآلهة أرواح الأجداد Mânes: خلال فترة حكم أغسطس عرفت الكتابات الجنائزية صيغا أكثر انضباطا وتكاملا، وهذا تبعا لتغير في رأيت الرومان وتصورهم للعالم الآخر فأصبحت النصوص تهدي لآلهة أرواح الأجداد Dis Manibus، و ذلك ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، و ظهرت في إفريقيا ابتداء من نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني الميلادي و تعممت منذ فترة السيفريين ، بينما تأخرت في منطقة سطيف حتى ما بين القرنين الثاني و الثالث الميلاديين(مهنتل جهيدة ، 2019: 145) و آلهة أرواح الأجداد هي معبودات جماعية ترمز لأرواح الموتى من الأسلاف و في زمن سابق قصد بها مجموعة أرواح من سكنوا المنزل سلفا كما مثلت الآلهة الحامية للمنزل مثلهم مثل pénatesأو و lares (Schmidt Joël,1991 : 191)، ويقصد باللفظ الخيرين les bienveillants ولكن أحيانا ينظر إليهم على أنهم شياطين أو أشرار Démons، كما أنهم أحيانا يحمون وأحيانا أخرى يعذبون روح الميت. (Lassère J-M,2007:234)

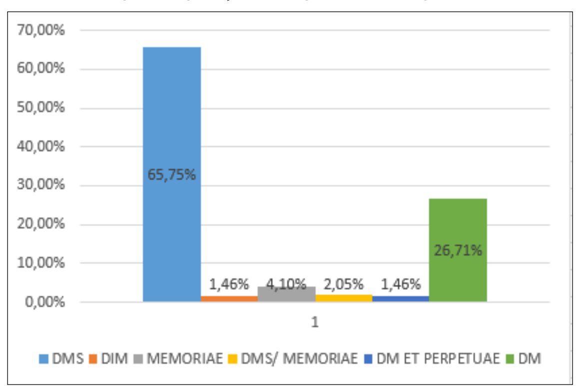
ظهر الإهداء لها فترة حكم أغسطس، ليعمم خلال حكم كلود Claude، وابتداء من القرن الثاني انتقلت الصيغة من Dis Manibus أو Manibus فقط لتصبح Dis Manibus Sacrum (Corbier Paul, 2006:22)

كما أن الإهداء أحيانا لأرواح الأجداد أحيانا يكون متبوعا بلفظة Memoria، وهي لفظة نجدها خاصة في الكتابات المسيحية.
(Lassère J-M,2007:234)

وبالدراسة التطبيقية وجدنا أن العبارات الافتتاحية عامة ذكرت 146 مرة موزعة كما يلي:

DIS MANIBUS SACRUM: تكررت 96 مرة
DIS MANIBUS: تكررت 39 مرة
MEMORIAE: 06 مرات
DIS MANIBUS SACRUM /MEMORIAE: ثلاث مرات
DIS MANIBUS RT PERPETUAE SECURITATE : مرة واحدة
DIS INFERIS MANIBUS: مرة واحدة

والملاحظ أن العبارة الأكثر تداولا هي DMS وقد شكلت نسبة 66 % مقارنة بغيرها من الصيغ أما في الفترة المسيحية فتحل مكانها بشكل ملحوظ عبارة MEMORIAE كما نجد لفظة HIC QUISCANT أي هنا عظام بدل أو غيرها من الألفاظ وتختفي الألفاظ الافتتاحية الكلاسيكية الخاصة بالفترة الجمهورية والإمبراطورية.



مخطط بياني رقم (1) يمثل نسبة الصيغ الافتتاحية

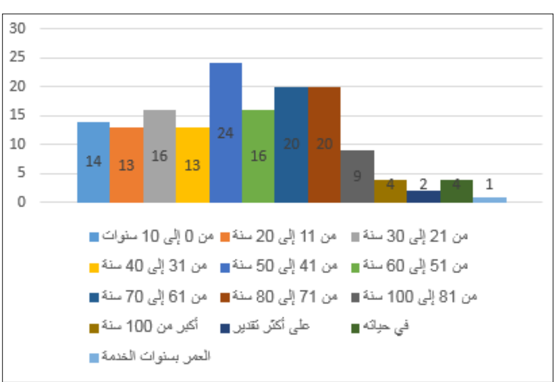
- اسم الميت: اسم الميت يكون أحيانا في حالة المضاف Génitif وربما فيه إشارة للعلو المطلق للمؤله حيث يكون اسم الميت مضافا إلى الآلهة.

في حالة المفعول لأجله Datif ربما فيه إشارة لحالة من التساوي بين المؤله من أهدي له لنص. كما قد يرد اسم الميت في حالة Nominatif

- الإشارة للعمر: يقصد به عمر المتوفى ويعبر عنه بـــــ vixit annis بمعنى الذي عاش وأحيانا valvit annis، أي يقدر عمره بـ (مهنتل جهيدة، 2019: 150) ابتداء من فترة حكم قيصر عبر عن عمر الميت بدقة أكبر Annis , Mensibus , Diebus (Lassère J-M,2007:236) ابتداء من القرن الثالث نجد عبارة plus minus والتي تعني على أكثر تقدير، وهي عبارة نادرة الورود في الكتابات الجنائزية للفترة الإمبراطورية إلى غاية منتصف القرن الثالث الميلادي (cagnat ,1890 :247)، بينما تصبح هي العبارة الأكثر شيوعا واستعمالا في الفترات المتأخرة، ومنهم من ترجمها بعبارة إذا لم أخطئ وهذا ما رجحته الأستاذة الدكتورة مهنتل جهيدة (مهنتل جهيدة، 2019: 151)

بالدراسة التحليلية للكتابات الأثرية استخلصنا النتائج التالية:

- إجمالي من ذكر عمرهم في الكتابات الأثرية بمدينة كويكول 156 شخصا، في حين بلغ عدد إجمالي الذكور 98 شخصا، أما الإناث فـ90 امرأة. وهنا يتبين الفرق بين عدد الأسماء وعدد من ذكرت أعمارهم وبالطرح نعرف أن 32 شخصا ذكروا لكن دون أن يشار لأعمارهم.



مخطط بياني رقم (2) يمثل تكرار الفئات العمرية لسكان كويكول من خلال الكتابات الجنائزية

- مقدمو النقيشة: هم من شاركوا في هذا العمل أو العقد الديني، وهو وضع البقايا في القبر، ويبدأ يختفي ذكر من قدم النقيشة بالتدريج من

شواهد القبور في الفترة القديمة المتأخرة، أما ذكرهم في الفترة القديمة الوثنية فكان دليلا على تماسك العائلة وكذا دليل على التماسك الاجتماعي عامة. (Lassère J-M, 2007:238)

بالنسبة لموقع جميلة وجدنا تنوعا فيمن قدم النقيشة فمرة الأبوين ومرة الزوج لزوجته وأحيانا أخرى الورثة أو المعتوق لسيده القديم.

نجد عبارةDe suo بمعنى قدم النقيشة بنفسه، كما نجد عبارة pecunia sua والتي تعنى على نفقتهم، وهذا معناه في الكتابات الأثرية أنهم لم يستعملوا الميراث من أجل إتمام مراسيم الدفن، على العكس نجد عبارة Ex Testamento.

مقدمو النقيشة يمكن أن يكونوا أصدقاء للمتوفى، وعادة ما تكون بينهم علاقة عمل، غالبا ما نجدها بين العبيد والمعتوقين، كذلك بالنسبة للجنود الذين يتوفون أثناء تأدية الخدمة في معسكر بعيد عن العائلة يطلق عليه إسم commilito معناه خدمة عسكرية مشتركة، أو contubernalis ومعناه صديق لعبد خاصة بالجنود. (Lassère J-M, 2007:238)

مقارنة بذكر كل الأسماء الواردة في النصوص الجنائزية لكويكول والذي قدر ب 188 مرة، نجد أن 29 شخصا بين فرد وعائلة ذكروا على أنهم قدموا النقيشة.

- إن العلاقة بين من قدم النقيشة و الميت لم تكن علاقة قائمة دائما على الشواهد والمصالح المالية بمعنى أن العلاقة لا تتمثل فقط في الجانب المادي و هو وضع النقيشة كشاهد قبر و إنما تتعداه فنجد الكثير من العواطف بين الحي و الميت ممثلة في مجموعة الألفاظ مثل صفة piisimo أو piisima حيث وصف بها مرة الأب و المرة الأم و مرة الزوج أو الزوجة و قد ذكرة هذه الصفة 11 مرة في كتابات كويكول الجنائزية، كما ذكرة صفة sanctissimae و التي تحمل معنى قديس أو مقدس و تكرر ذكرها مرة واحدة، أما صفة Dignissimo بمعنى ذو القيمة أو ذو الكرامة فقد تكرر ذكرها مرة واحدة، صفة Amantissimo/a و التي تحمل معنى المحبوب أو المحبوبة جدا (مهنتل جهيدة ، 2019: 154) فقد تكرر ذكرها مرة واحدة، صفة Carissimo/a بمعنى الغالي جدا أو العزيز جدا (مهنتل جهيدة ، 2019: 154)فقد تكرر ذكرها أربع مرات، صفة Rarissimo/a بمعنى

النادر تكررت 6 مرات، صفة Incomparabili بمعنى الذي لا يقارن ، تكرر ذكرها مرتين، صفة Dulcissima بمعنى الوديعة أو الوديعة جدا (مهنتل جهيدة ، 2019: 154) تكرر ذكرها مرة واحدة.

العبارات الختامية: أغلبية شواهد القبور تنتهي بصيغ مثل Hic Situs Est بمعنى هنا يستريح، أو Sit Tibi Terra Levis بمعنى فلتكن التربة خفيفة عليك، Ossa Tua Bene Quiscant فلترقد عظامك بسلام، كما قد نجد عبارات تدل على خيبة الأمل أو الأسف مثل Contra Votum بمعنى عكس تمنياته (Lassère J-M,2007:240)

الخاتمة:

قدس الرومان على غرار معظم الحضارات القديمة الموت، ونظروا إليه بعين الخشية والإجلال، وظهر ذلك من خلال سلسلة الطقوس المعقدة التي ابتدعوها والتي تبتدأ منذ اللحظة الأولى للوفاة، و حتى آخر يوم من أيام دفنه، كما أن الموت عندهم لم يكن يعني خاتمة العلاقة بين الأحياء و بين من فقدوهم، و إنما انتقلت علاقتهم لشكل آخر، ممثلة في مجموعة الأعياد الخصة بالموتى و لم يكن الموت كذلك نهاية الذكر إنما خلد ذكرهم في كتابات عرفت بالكتابات أو النقيشات الجنائزية و التي عادت ما حفظت لنا اسم الميت و نسبة و عمره و حتى وظيفته و طبيعة القرابة التي ربطته مع من قدم هذه النقيشة و ذكر لصفاته الأخلاقية أكثر من الخلقية.

لم يكن مجتمع كويكول القديمة ليشذ عما سنه الرومان على اعتبار أن المنطقة وقعت تحت الاحتلال الروماني وبالتالي التأثير المباشر لسياسة الرومنة، الثقافية والعمرانية والعسكرية والمؤسساتية، فنجد أن الطقوس الممارسة والأعياد المخلدة والنصوص الجنائزية ما هي إلا نسخة وصدى لما كان يحدث في أرجاء الإمبراطورية.

- إن الدارس لمجموعة النقائش اللاتينية المحفوظة بمتحف وموقع كويكول يدرك الأهمية الكبرى للموت ولذكرى الأموات ذلك

بالنظر للكم الهائل من النقيشات اللاتينية مقارنة بغيرها من النقيشات الأخرى كالشرفية والإمبراطورية والدينية.

- وبالنهاية أقول إن هذا المقال ما هو إلا نظرة بسيطة على حقبة من الحقب التي عاشتها منطقة المغرب القديم وما هو إلا مقدمة لدراسة أشمل لا بد أن تمس مختلف الجوانب الحضارية والفكرية والدينية للمنطقة.

المراجع:

- أنور غني الموسوي، (2015). **ملحمة جلجامش،** د ط. بابل، العراق: دون دار نشر.

- إيمان لفتة حسين، (2009). «الطقوس الجنائزية في بلا وادي الرافدين خلال الألف الثالثة قبل الرافدين». **مجلة القادسية،** جامعة القادسية، 64/8، ص ص215-236.

- بن عبد المؤمن محمد، (2011-2012). **عقائد ما بعد الموت عن سكان بلاد المغرب القديم**. رسالة دكتوراه غير مشورة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، الجزائر.

- شباحي مسعود، (2015). «الطقوس الجنائزية في مصر القديمة». **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،** جامعة باتنة 1، العدد 33 ديسمبر، ص. ص 145-168.

- مهنتل جهيدة وآخرون. (2019)، **التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف المجال، الإنسان، التاريخ**. سطيف: منشورات الوطن اليوم. ص ص 141-169.

- عميري إبراهيم، روبة سوزان، (2012)، **المدافن والطقوس الجنائزية في العصور الكلاسيكية في ريف دمشق،** د ط، دمشق: منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف.

- Aldrete Gregory S. (2004). Daily life in the roman city : rome, pompeii, and Ostia. Connecticut : Green wood press.

- cagnât René. (1890). Cours d'épigraphie latine. Paris : Ernest Thorin.

- Corbier Paul. (2006). L'épigraphie latine. Paris. Armand colin.

- Damet Aurelie. (2006). "les rites de mort en Grèce ancienne pour la paix des vivants ? ". Hypothèses. 1/10.janvier 2006.

- Dunstan William E. (2011). Ancient Rome. Maryland : Rowman &little field publisher,Inc.

- Florence Maruejol, les rites funéraires de l'Egypte ancienne, in https://www.louvre.fr/sites/default/files/medias/medias_fichiers/fichiers/pdf/louvre-ritesfunerairesegypte.pdf

- Graham Emma-Jayne. (2004). Death desposal and the destitute : the burial of the urban poor in the late republic and early empire. Thesis submetted for the degree of doctorat of philosophy.deârtement of archaeology. University of Sheffield.

-Hilali.A. (2009). "les repas funeraires: un témoignage d'une dynamique socio- culturelle en afrique romaine " Brill. Boston, 2009.

-Howatson.M.C. (1993). Dictionnaire de l'antiquité: mythologie, litturature, civilization. Paris: Robert laffont

- Ursula Gärtner .(2015). Antike Geschichtsschreibung Tod und Jenseits Römische Religion. Potsdam: Universitätsverlag Potsdam.

- keppie Lawrence. (1991). Understanding roman inscription. Baltimore : the john Hopkins university press.

- Lassère Jean- marie. (2007). Manuel d'épigraphie romaine. Paris : A et J picard.

- Prieur Jean. (1986). La mort dans l’antiquité romaine. France : ouest France université.

- Retief François Pieter, Cilliers Louise. (2006). "Burial customs and the pollution of the death in ancient rome : procedures and paradoxes ". Acta Theologica. 26/2.2006.

- Scheid John religion, institutions,et societé de la rome antique, in https://www.researchgate.net/publication/44963077_Religion_institutions_et_societe_de_la_Rome_antique

- Schmidt Joël. (1991). Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine. Paris : France loisir.

-Van Andringa W. ET Lepetz S. (2008). "Pour une archéologie de la mort à l’époque romaine: Fouille de la nécropole de porta Nocera a Pompei ". CRAI. Comptes rendus des séances de l'année. Avril - juin 2006.

للإحالة على هذا المقال:

- خاشة سعيد، (2022)، «**الطقوس الجنائزية خلال الفترة الرومانية بمدينة كويكول (جميلة حاليا)**» . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 606-625.